فأخبرني أنه حين كان عندهم وسألوه فنفى أي علم له بالأمر، كأنهم أحسوا أنه قد شك فيهم فهددوه وقالوا له أنهم يشكون فيه أنه عميل وجاسوس، وأعلنوا ذلك في الغرفة وفرضوا عليه حالة الطوارئ، وبدأوا يتعاملون معه كأنه جاسوس وقد أدرك أنهم بذلك يحاولون أن يخلقوا لديه ردة فعل ليدافع عن نفسه، ولكي يثبت أنه ليس جاسوساً يبدأ بالحديث عما لديه من أسرار وقد أحضروا له أوراقاً موقعة من مسئولين في الحركة وعليها أختام حمراء وغير ذلك يتحدث معهم بالحقيقة ولا يخفي عنهم شيئاً وأنه أكد أنه حدثهم بالحقيقة، وهي أنه لا يخفي عنهم شيئاً مطلقاً، ولو تحدث بأي شيء لما خرج من السجن لسنوات.

فنظرت إليه بإمعان وسألت: لكنك لم تخبرني أين حسن؟ أجاب بلا مبالاة: انس هذا الأمر والمهم أنه لن يضايقنا ولن يسيء لسمعتنا ولن يضايق أحداً بعد الآن، فأدركت أنه قد أبرّ بقسمه، وحمدت الله في نفسي أنني لم أكن شريك سره من قبل أو شريكه فيما يفعل، فلعلني كنت قد تورطت وحدثت أولئك الفدائيين وتورطت وورطت ابن عمي.

مع أول فرصة سنحت لي بعد خروجي من السجن، خرجت مبكراً وانتظرت خروج "انتصار" محبوبتي لأراها ولأجعلها تراني، فإن كانت قد سمعت باعتقالي تطمئن علي وتقر عينها، لمحتها قد أطلت من الزقاق فنظرت إليها، فنظرت إلي نظرة خاطفة وغضت طرفها وتمتمت شفتاها بكلمات صغيرة، اعتقدت أنني قرأتها (الحمد لله) أو قد أكون أوهمت نفسي بذلك إذاً فهي قد عرفت أنني كنت في السجن وها هي تحمد الله على سلامتي، غمرتني سعادة لا توصف وانطلقت أسابقها إلى الجامعة أتقدمها في السير حتى تراني، وتتأكد من سلامتي.

في إحدى الأمسيات بعد الإفراج عن إبراهيم وبينما كنت أجلس معه في الغرفة ندرس في كتبنا الجامعية دخلت أمي الغرفة وقد قرأت علينا السلام، وهي تحمل بين يديها صينية وعليها ثلاثة أكواب زجاجية وإبريق شاي، سحبت الطاولة نحو سرير إبراهيم وجلست على طرف السرير فاستند جالساً إلى جوارها، صبت الشاي وناولت كل واحد منا كوبه وارتشفت رشفات طويلة من كوبها وقالت وهي تتحدث بحديثها لإبراهيم: انظروا ما أجمل أولاد محمود وحسن وفاطمة وتهاني، الابن هو أغلى ما في الكون، ولا تحس بذلك المعنى إلا حين يكون لك ولد، يا سلام ما أجمل أن تصبح أماً أو أباً، هذا أجمل ما في الكون من مشاعر وأحاسيس.

أدركت أنها تمهد لموضوع آخر، فرمقت إبراهيم بطرف خفي، فلاحظ الماكر نظرتي يرد ببسمة خفيفة وكأنه يقول لي: أنا أدرك ما تمهد له أمك.